

الشارونية هي الفلسفة السياسية التي تقوم على قرار من الجيش يقول بأن السياسيين (و القضاة كذلك) ليسوا أفضل من الجيوش الموضوعه تحت إمرتهم. تؤمن الشارونية بأن مستقبل الشرق الأوسط قابل للصياغة من خلال منظار سبطانة الدبابة، وأن التشكيك السياسية الجديدة التي تقضها إسرائيل للمنطقة تبني بمراكمه السلوكات التفسيرية.

الفلسطينيون كيان عاصٍ وغير مأمون وهذا ثبت أبدي بالنسبة للرؤية الشارونية للعالم. الهدف من وجود الجيش الاسرائيلي هو قمع مقاومتهم المستمرة. نحو هذا الهدف النهائي تشمل الشارونية و عينها على أذونات واشتعلن، المباشرة وغير المباشرة، بينما لا تثير كبير اکتباء لغير آراء دولية. فوق كل شيء، تؤمن الشارونية بأن سيطرة جيشها على الجيوش العربية هي الضمانة الوحيدة الممكنة لبقاء إسرائيل.

منذ عشرين عاماً، وتحت أنوار هذه الايديولوجيا، خطط الثلاثي بينن-شارون-إيتان للحرب الإجرامية على لبنان و نفذوها. كان لسياستهم تلك هدفان: إعادة تشكيل لبنان بكتلته بتصميم حكومة تسيطر عليها "الكتائب" المسيحية، وطرده القوى الفلسطينية. اليوم، الكتائب غابوا و طردت إسرائيل بالقوة.

محاولة اغتيال شلومو أرغوفه السفير الاسرائيلي في بريطانيا، والتي كان "جماعة أبو نضال" مسؤولين عنها، نفقت كذريفة لاجتياح لبنان. الاجتياح المخطط على مهل مسبقاً والذي كلف عشرة آلاف حياة تقريباً. لاحقاً كتب أرغوف ( المثقف الليبرالي والإنساني الذي لم يتناف بعد ذلك من جراحه) إدانة مريضة لسكرية شارون التي استتمت معاناته عذراً لجعل آخرين كثر يعانون ويموتون.

اليوم يبعد شارون حرب لبنان في إسرائيل و فلسطين. هي مناسبة لتذكرك رفض أرغوف الأخلاقي لمنطق سلاسل المماناة المتكررة بلانهاية.

حين يفجر انتحاريو (الفاشية الدينية) أنفسهم و من يحيطون بهم في سوبرماركت، في سبيل إنشاء جمهورية إسلامية وإفناء "الوطن" اليهودي، هم يمنحون الشارونية نفس العذر الذي لزمها قبل عشرين عاماً. ضحايا عملية عيد الفصح في تانيا تم استخدامهم تبريراً لحصار رام الله.

العمارة السياسية التي يحلم بها شارون للشرق الأوسط انهارت برمتها في لبنان. وهو سينشل بنفس الحتمية في اجتياح الأراضي الفلسطينية. الاجتياح الذي يهدف إلى منع أي ابتعاث لمسيرة أوسلو. وزير الدفاع بنيامين بن أليمازر اعترف مؤخراً للجنة من الكنيست بأن "الارهاب لا يمكن إيقافه بعمليات عسكرية".

إن أية محاولة عسكرية للتهدة ستوجب إعادة احتلال كامل لأراضي السلطة الفلسطينية، الأمر الذي ينظر إليه كشيء يفيض لا يطاق من قبل أغلب الناخبين الإسرائيليين كما من قبل العرب و الرأي العالمي.

ثم إن الفلسطينيين، وقد ذاقوا مؤخراً طعم استقلال في حده الأدنى، سيردون بحرب عصابات ضارية... الحرب التي ما زالت في بدايتها.

وهكذا، تواجه حكومة شارون المشكلة الاستعمارية التقليدية، مشكلة كيف ستجبر السكان الأصليين على الإذعان لقدرهم المقضي. الأسلحة المتطورة لم تستطع حل هذه المشكلة يوماً. يمكنها أن كندبر أمر يوم عابر لا أكثر. و بجميع الأحوال لا يحتاج السكان الأصليون لإلحاح دم و لأن يظلوا موجودين حتى يكونوا الفائزين.

الشارونية حالة عداء دائم لعارض وجود إسرائيل كحاكم حتمي للشرق الأوسط، لذا تكون العلاقات السلمية مع الجيران العرب مرغوبة ولكن يمكن الاستثناء عنها.

هذه "النزوية" التي هي من صفات إيديولوجيا الجناح اليميني، تنز من سلطتها السياسية على الصعيد الأهلي. تسميق العزلة الدولية يبيد إحياء شمبية شارون النارية مؤخراً.

لا يزال ثمة مستوى آخر من النزوية الناشطة هنا: هو رفض الاعتراف بالثقافة الفلسطينية، وذلك بوصفها عرشاً للوحشية حسب الاعتقاد الشاروني. إن أي مخيم لاجئين فلسطينيين - وهو الهدف الرئيس للكره الشاروني - هو صنيعة المخيلة المستترة تحت قفرها المادي. حيث أصبحت جدران الرماد لغة محلية للفلسطينيين، راسمة حدود ضيقة تحول المساحات المحدودة إلى مناطق سكنية تكثر شيئاً فشيئاً. فما يبدو وبؤساً غير محتمل يكتسب دفناً ورحابة، والفضل في ذلك للروح أكثر بتليل من غيرها.

عري الجدران والأزقة والأسطح تبرغ حارة مجاورة. ويتنامى عمرانها ليصبح استنارة للثقافة الفلسطينية، تلك التي تبني بلبنات القدر السيئ ملاجئ لجوهرها النابض.

حتى وإن كانت الأحياء التي يبرها التسميم (المستوطنات) عديمة المعنى أمام أي صاروخ جدي، هي تظل تمثل تسليحاً ثقافياً يحمي الاحتلال الإسرائيلي والأهداف السياسية الأمريكية في الشرق الأوسط.

لقد بحثت السياسة الأمريكية مراراً عن ضمانات ثابتة لمصالحها الاقتصادية في الشرق الأوسط، في الوقت الذي تجاهلت فيه الأهمية المركزية للفلسطينيين في استقرار المنطقة. فالفلسطينيون ليسوا شعباً مؤقتاً يعيش أبتأوه حيوات عارضة و مشروطة في قطاعات مؤقتة، من غير الممكن أن يضمّنوا استقراراً يتشكر لحاجاتهم التاريخية.

مثلما فعل في ١٩٨٢ في عهد إدارة ريفان قام شارون بتحريك أسطول دباباته تحت غطاء اللا-اكتراث الدبلوماسي والتصريح المستتر من اليمين الأمريكي. هذا امتداد للبيئة الاجتماعية ما بعد ١١-٩ حيث شاعت مناهضة الثقافة العربية، وحيث صار توكيل الآخرين بمتف الدولة المضاد للعرب مناسباً أكثر بالنسبة لأمريكا.

إن من أشكال البربرية في هذا العصر أن تصبح الثقافات العربية اليوم تحت القصف، أن يحشم غناها و أنانيتها مهملين تحت الشك الثقافي الحاكم للعرب اليوم.

هناك وحشية في علوم الموت الحتمية التي تصدرها الولايات المتحدة و أوروبا كتحصينات، وحشية كنفوق بشكل كبير على كل الدعاوى التي يمكن توجيهها ضد المقلدين الواهنيين و المستهلكين الناديين من اللاديموقراطيين في مراكز القوى في المواسم العربية. عسكرية شارون هي في نهاية المطاف مجرد تجلٍ محلي لصناعها في الغرب.

مادام الفلسطينيين مثقدين لوطن قومي مستقر ومزدهر سيمتقي الشرق الأوسط يعيش هذا اللااستقرار. و طالما استمر وجود أرخبيل المستوطنات تحت رعاية الحركة الدينية الفاشية الإسرائيلية سيمتقي السلام طائراً خرافياً.

طالما تسود الشارونية، النصر للموت.